قسم شؤون الطالبات

#STAY_HOME #STAY_SAFE

#وانت ـ في ـ بيتك#حماية ـ لوطنك

كلنا مسؤول

أيُّهما أهم: الصحة أم التعليم

د. أحلام علاق - عميدة شؤون الطالبات

يبدو أنّ السؤال معضلة! فالصحة والتعليم من أهم ركائز المجتمعات الناجحة، والمتحضرة. والاختيار بينهما يشكل تحديًّا يصعب على النفس تقبله، ولكن مع الإغلاق الشامل لجميع المؤسسات الأكاديمية حول العالم التي حتمتها الظروف الصحية الراهنة، فالإجابة واضحة: الصحة تأتي في المرتبة الأولى قبل كل شيء، فهي حتمًا أهم من التعليم.

إلا أن الصحة لا تشمل – فقط - السلامة الجسدية للأشخاص، ومنهم طالباتنا وطلابنا الأعزاء، ولا هي مقصورة على اتخاذ التدابير الوقائية لحمايتهم من جائحة مرض (الكورونا) الحالية، بل هي تتعدى ذلك إلى المحافظة على الصحة النفسية والذهنية لطلابنا ومساعدتهم على الحفاظ على التوازن النفسي المطلوب للتعايش مع الأوضاع الراهنة وتحقيق النجاح الأكاديمي رغم هذه التحديات غير المسبوقة.

فلا توجد أي شهادة دراسية في العالم تستحق انهيار الإنسان نفسيا أو عصبيا - ولا توجد أي مكاسب أو إنجازات أكاديمية تساوي التوازن النفسي لصاحبها.

قضينا نحن- المعلمين والأكاديميين - أعواما طويلة نتشدق بأهمية التعليم، واليوم نحن في حالة اضطراب وحيرة! نعم، فقلوبنا تضع التعليم في مقدمة أيّ شيء في الحياة، ولكن صوت العقل -الآن- يقول: الصحة أهم من التعليم، والسعادة النفسية أهم من الشهادات.

وأنا أول من يتبع هذه النصيحة، فبسبب الظروف الراهنة وتواجد أطفالي بالمنزل، ووجودهم في حالة استرخاء، يثير أعصابي قلقاً على دراستهم، فتجدني أحلق حولهم كطائرة هليكوبتر مزعجة تحوم

وتحوم، هنا وهناك، لتوزع المهمات والواجبات. أصبحت رؤيتهم توترني وأصبحوا يتوترون من رؤيتي، إلى أن أدركت فداحة ذنبي وبدأت أفكر بهدوء.

ما الذي يحدث؟

نعم، كلنا قلقون، متوترون، نشعر بالخوف من المجهول، والإرهاق الجسدي والنفسي؛ فالكورونا لم تجتح العالم لتصيبه أو تهدده بالفيروس الوبائي فقط – بل لتقلب جميع أساليب الحياة في كل جوانبها، بما فيها: كيف ومتى وأين نعمل أو ندرس؟ فالتحول إلى التعلم عبر الإنترنت، ووجودنا "الافتراضي" اللامتناهي على "الزوم" هذه الكلمة الطنانة التي غزت حياتنا رغمًا عنا لتحولنا إلى كائنات افتراضية، بالإضافة إلى ساعات العمل الطويلة من منازلنا التي يشاركنا فيها زملاؤنا في أنحاء العالم: كلها تحديات غريبة على مداركنا لم يسبق لنا التعامل معها، ولا ندرك آلية الانتصار عليها.

فما يحدث في العالم اليوم يبدو كفيلم خيال علمي، بمشاهد سيريالية، كابوسية، مظلمة وغامضة، جثمت على صدورنا، لا نستطيع فكّ شفراتها ولا نعرف لها نهاية! ننام منهكين ونستيقظ مُحبطين ونحن نجرّ أنفسنا إلى يوم آخر في "العزل الوقائي" ورغم ذلك يتطلب منا القيام بواجباتنا في العمل والدراسة وكأن شيئًا لم يكن؟ وكأن ما يحدث لا يخصنا! نشعر بالتوتر وانعدام التوازن، فإن كنا نحن نشعر بذلك بسننا وتجاربنا وخبراتنا - فلنا أن نتخيل معاناة طالباتنا وطلابنا وهم في زهوة صباهم، في سن الانطلاق المليء بالطاقة والحماس والهرمونات المتغيرة، والمشاعر المرهفة التي تزيد من أحاسيس القلق واليأس والخوف من المجهول!

وضع يستحق منا وقفة طويلة. فتحول الدراسة إلى المنصات الإلكترونية - رغم أنه الحل الأمثل في الوضع الراهن - ورغم إمكانياته المبهرة - إلا أنه حمل معه تحديات كثيرة للطالبات والطلاب، بعضها لم نكن نعلم عنها شيئا!

وهنا يأتي دورنا نحن كلٌّ في موقعه، فلا يمكنكم تخيل كمية المكالمات والرسائل الإلكترونية التي انهالت عليّ من طالبات وأمهات يبوحون لي بهمومهن.

قالت لي إحدى الطالبات: " نحن نعتمد على بطاقات الشحن المسبقة الدفع للحصول على الإنترنت في منزلنا، ولا يمكنني تحمل تكاليف الزوم والتعليم الافتراضي، فليس لدي اشتراك بشبكة إنترنت لا محدود لاستخدامه." وقالت لي أمٌّ تصف حالها:" لدينا في المنزل جهازا كمبيوتر ، ولدي أربعة أبناء جميعهم يحتاجون النت في نفس الوقت كل يوم. وزوجي بالبيت، ويضطر للعمل على النت طوال اليوم؛ ولذا فجهاز واحد مخصص له وحده، وأما الأبناء الأربعة " فعليهم أن يدبروا حالهم" ويتناوبوا على جهاز واحد، رغم أن الجميع مطلوب منه الحضور بنفس الوقت! كيف؟ لا أدري؟".

نعم، سيداتي وسادتي هذه قصص حقيقية من واقع طلابنا المحتاجين لدعمنا اليوم أكثر من أي وقت مضى، وربما أكثر مما سيأتي في تاريخنا المعاصر، هم يتأملون مساعدتنا في نجاحهم، وتخطي الصعاب في هذه الظروف غير الاعتيادية، الخارقة للطبيعة اليومية والحياتية التي كنا نعيشها بكل المقاييس.

معلمي الكرام

نحتاج إلى ترتيب أولوياتنا وإعادة النظر إلى سقف توقعاتنا، وأن نكون واقعيين. فلا توجد مؤسسة تعليمية واحدة في العالم اليوم، مهما كان تاريخها وعراقتها، تواصل العمل بالمعايير التقليدية الثابتة التي احتفظت بها لمئات السنين، وعلى جميع المعلمين والإدارات تقديم تنازلات ومرونة بما يتطلبه الوضع العالمي، لتسيير حياة طلبتنا بسهولة.

ثقتنا كاملة بكم، وبساعدتكم لطلابنا في رحلتهم إلى النجاح، وأنكم تضعون في الحسبان أن صحتهم لا بدّ أن تكون هي الأولى دوما، وأن صحتهم النفسية لا تقلّ أهمية عن صحتهم البدنية.